من هنا نبدأ

الاثنين 21 أبريل 2014 12:04 م

صادق أمين :
كان هناك فقير يجلس على جانب الطريق لأكثر من ثلاثين سنة، وفي يوم من الأيام مرّ به شخص غريب، فسأله الفقير وهو يحمل قبعته القديمة: هل تقرضني بعضاً من المال؟
فرد عليه الغريب بقوله: لا يوجد لدي شيء لأعطيك إياه.
وبعدها سأله الغريب: ما ذلك الشيء التي تجلس عليه؟
أجاب الفقير: لا شيء، مجرد صندوق قديم، وأنا أجلس عليه منذ فترة طويلة جداً.
فسأله الغريب : ألم تنظر إلى ما بداخله؟
فأجاب الفقير: لا، وما الفائدة لا شيء هناك؟!
ألح عليه الغريب وقال: انظر إلى ما بداخله.
فحاول الفقير أن يفتح غطاء الصندوق، وبكل ذهول ودهشة صُعِق لمّا رأى أن الصندوق مملوء بالذهب.

قد يكون أنا أو الثورة أو الكفاح أو الحياة الحرة هو ذلك الغريب الذي لا يملك شيئا ليعطيك إياه، ويحاول أن يخبرنا بأن ننظر إلى ما بالداخل، ليس بداخل الصندوق كما في القصة، وإنما بداخل مكان أقرب من ذلك بكثير وهو: نفسك.
إذ من البلاهـة ـ في هـذا المنعطف الخطير الـذي يجتـازه الوطن ـ انتظار الحل و النجـدة على يـد هؤلاء الانقلابيين المناكيـد؛ الذين يمارسون لعبة الإصلاح الضال؛ الذين نكصت الرجولة عنهم؛ إذ وافتهم فلم تجدهم رجالا؛ بل أصحاب أطماع و عقد نفسية لا يحلها إلا خروج أنفسهم.
و من البلاهـة ـ أيضـا ـ انتظار الحل و المروءة و الشـجاعة و النجـدة من شـعب آخر؛ ليجعل الحاكم و الحكومـة طوع أمرنا؛ ذلك أن سـنة الله في الحياة (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).
و إن لم نفعل فلا نلم إلا أنفسـنا؛ إذ ستكون حالنا هي هي بل أشد سوءا، و لن نملك أو نتجرأ ـ يوماَ ـ على سؤال مَنْ حكمونا بالحديد و النار لقمة الخبز أو ساعـة أمن أو عودة حق، و أنَّى هـذا و كـل واحـد من هؤلاء المسـتبدين إن هو إلا جريمـة تتحرك على الأرض؛ لتغتال عود الكفاح الثوري الأخضر الناعم الريان كان للثمر فيقولون له: كن للحطب.
فهم اللصوص بل أشد جرما؛ إذ سيئات اللصوص و القتلة كلها تُنسى و تتلاشى، ولكن سيئات هؤلاء تعيش و تكبر.
و حتى لو أطعمونا و امتلكنا ثروة مادية عظيمة؛ فلسوف نبقى فقراء؛ لأن أمامنا عوائق جبارة من داخل أنفسـنا؛ و لأننا فرطنا بسيرنا في الطريق الخطأ، و لسوف يزال التفريط يتمادى حتى نسـقط فريسة الظلم؛ يكسر عظامنا و ينهش لحمنا؛ ذلك بأننا بحثنا عن التغيير من خارج أنفسنا و لم ينبع منهـا أولاـ ؛ وما كان بالخبر وحـده يحيا الإنسان، بينما نملك ما هو أثمن بكثير من ذلك ما لو أُتيـح لأمـة عزيزة لصارت في مصاف الكبار دنيا و دينا.
ولكن هيهـات هيهات؛ فالحاكم الفرعون كارثـة على شـعبه؛ إذ يسـتمد بقاءه من الرهبـة و الظلم و سـياسة الإفقار المتعمـدة؛ ليضـمن المغانم، و يجشم شعبه المغارم؛ ليدور حول نفسه أربعة و عشرين ساعة في متاهة جمهورية الخوف.
فلماذا تَقبل أو يُطلب منا هذه المقامرة و أن نتحمل نتائجها؟!!!
في حين أن العمل الأرشد و الطريق المختصر هو استعادة المسار الديمقراطي؛ فهو الضمانة الحقيقية لنا جميعا؛ و هذا ما نطقت به الأمم بعدما ـ و الكلام للشـيخ الغزالي ـ " تعرضت لنزوات الساسـة المسـتبدين، و قاست منهم مثل ما قاسـينا أو أشد، و اسـتطاعت أن تخلص منهم بالعزل أو الفتك؛ ثم وضـعت دساتير تنظم العلاقات بين الشعوب و الحكام تنظيما يمنع الظالم و يوصد الأبواب في وجوه لصوص السلطة، الذين يثبون على الشعوب بين الحين و الحين؛ فيملكون زمامها و يعبثون بها كيفما شاء لهم الهوى". أ. هـ / معركة المصحف
و لماذا لا ننتفع بتجارب الآخرين في مضمار تشابهت فيه الآلام و توحدت فيه المصالح؟!!!
وصدق الله جل ثناؤه:(قد جاءكم بصائر من ربكم، فمَنْ أبصر فلنفسه ومَنْ أساء فعليها، وما أنا عليكم بحفيظ) الأنعام/104
خلاصة القول، فلنتجاوز الماضي و لننقل النظر من الوراء إلى الأمام، و ليس من الجهد ما يُهدر و لكن النجاح قد يتأخر (و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون).